

نقد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأزواجه وذريته الطاهرين، وعلى صحابته والتابعين، ومن تبعهم وسلك سبيلهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد عرف فقهاء المالكية فكرة المختصرات منذ أوائل القرن الثالث الهجري، ثم اتسعت فكرة التأليف على تلك الطريقة بداية من القرن الرابع، إلى أن صارت ظاهرةً تُلفت الانتباه خلال القرن السابع الهجري وما بعده.

ولعلَّ أوَّل من اشتغل بفكرة الاختصار هو: أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم المصري (ت 214هـ)، الذي صَنَّفَ كتاباً اختصرَ فيه أسمعته، ثم اختصرَ منه كتاباً صغيراً، وعلى هذين الكتابين مع غيرهما، مُعَوَّلُ المالكيين من البغداديين في المُدارسة، ثم تلاه عبد الرحمن بن أبي جعفر الدُميَّاطي (ت 226هـ) في كتابه الموسوم بـ «الدُميَّاطيَّة»، وهو سماع مختصر جمع فيه أسمعته عن أكابر أصحاب مالك كابن وهب، وابن القاسم، وأشهب، ثم جاء بعدهما أبو زيد عبد الرحمن بن عمر السَّهْمِيّ المصري (ت 234هـ) فاختصر «الأسدية» اختصاراً حسناً.

وبالنظر في المختصرات المبكرة في الفقه المالكي، نجدتها تحمل طابعا خاصا، وتختلف شكلاً ومضموناً عن المختصرات المصنفة في القرون المتأخرة؛ إذ المُختصراتُ عموماً، لا تعدُّو أن تكون إما اختصاراً لكتابٍ مُعيَّن، كالمدونة التي اختصرها كثير من العلماء وغيرها، أو أن تكون اختصاراً عاماً لا يقتصر على كتابٍ

مُعَيَّنٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَأْلِيفٌ جَامِعٌ لِكُلِّ أَبْوَابِ الْفِقْهِ، اخْتَصِرَتْ فِيهِ أَقْوَالُ مَالِكٍ، أَوْ أَسْمَعَةَ أَقْوَالِ كِبَارِ أَعْلَامِ الْمَذْهَبِ الْآخِذِينَ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ، وَوَفَّقَ هَذَا الْمَنْهَجَ صَنَّفَ الْإِمَامُ الْفَقِيهَ الْمَحْدَّثَ أَبُو مَصْعَبٍ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزَّهْرِيُّ (242هـ) مَخْتَصِرَهُ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا، فَضَمَّنَهُ - رَحِمَهُ اللهُ - خُلَاصَاتٍ مَا تَلَقَّاهُ مَشَافَهَةً عَنِ شَيْخِهِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ مِنْ آرَاءِ فِقْهِيَّةٍ، بَعْدَ أَنْ انْتَقَى مِنْهَا مَا يَصِلِحُ لِأَنْ يُرْتَّبَ عَلَى الْأَبْوَابِ.

وَمِنْ خِصَائِصِ هَذَا الْمَخْتَصِرِ الَّتِي تَمِيْزُهُ عَنِ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْتَصِرَاتِ، أَنَّهُ لَمْ يَعْتَمِدْ أَيَّ قَوْلٍ مِنْ أَقْوَالِ الْفُقَهَاءِ مِمَّنْ تَقَدَّمَ مَالِكًا - رَحِمَهُ اللهُ - أَوْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنْ كِبَارِ تَلَامِيذِهِ، بَلْ قَصَرَهُ - فِي الْغَالِبِ - عَلَى رَأْيِ الْإِمَامِ مَالِكٍ وَحْدَهُ، وَإِنْ كَانَ يَأْتِي فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ بِآرَائِهِ وَاخْتِيَارَاتِهِ الْخَاصَّةِ بِهِ.

وَتَتَجَلَّى جَلَالَةُ هَذَا الْمَخْتَصِرِ فِي كَوْنِهِ مِنَ الْأَصُولِ الْأَوْلَى الْمَصْنُفَةِ فِي الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ، إِضَافَةً إِلَى كَوْنِ مَصْنُفِهِ مِنْ أَعْلَامِ الْمَدْرَسَةِ الْمَالِكِيَّةِ الْمَدِينِيَّةِ، فَقَدْ كَانَ - رَحِمَهُ اللهُ - فُقِيهَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ غَيْرِ مُدَافِعٍ، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِقَوْلِ الْإِمَامِ مَالِكٍ وَنِظَرَاتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَلَهُ رَوَايَاتٌ يَنْفَرِدُ بِهَا عَنِ إِمَامِنَا مَالِكٍ، وَهُوَ - كَمَا لَا يَخْفَى - أَحَدُ أَبْرَزِ تَلَامِيذِ الْإِمَامِ مَالِكِ الَّذِينَ حَمَلُوا عَنْهُ كِتَابَهُ الْمَوْطَأَ، وَرَوَايَتَهُ لِلْمَوْطَأِ مَطْبُوعَةً مُتَدَاوِلَةً وَوَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَمِنْ الْأُمُورِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْإِهْتِبَالِ بِهَذَا الْمَخْتَصِرِ، أَنَّهُ وَصَلْنَا مِنْهُ نَسْخَةَ أُنْدَلُسِيَّةٍ فَرِيدَةٍ عَتِيقَةٍ، تَعَدُّ مِنْ أَقْدَمِ الْمَخْطُوطَاتِ فِي الْعَالَمِ، وَهِيَ مِنْ ذَخَائِرِ خَزَانَةِ جَامِعِ الْقُرُوبِيْنَ بِفَاسٍ - الَّتِي قَامَتْ بِتَحْيِيْسِهَا السَّيِّدَةُ الشَّرِيفَةُ لَالَةُ فَاطِمَةَ الْعَلُوي - رَحِمَهَا اللهُ - عَمَّةَ جَلَالَةِ الْمَلِكِ مُحَمَّدِ الْخَامِسِ طَيْبَ اللهُ ثَرَاهُ، عَلَى الْخَزَانَةِ عَامَ 1353هـ - وَهِيَ مَنْسُوخَةٌ بِخَطِ حَسَنِ بْنِ يُوْسُفٍ - عَبْدُ الْإِمَامِ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (302/915-366هـ/976م) تَاسِعِ أَمْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي الْأُنْدَلُسِ - فِي شَهْرِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ 359هـ بِمَدِينَةِ قَرْطَبَةَ عَاصِمَةِ الْخِلَافَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْأُنْدَلُسِ.

وقد اكتشف الكثير من الباحثين هذا العلق النفيس منذ عقود، وأشاروا إليه في أعمالهم العلمية؛ إلا أنهم استصعبوا الاشتغال بتحقيقه وضبط نصوصه؛ نظرا لصعوبة تحقيقه في ضوء نسخة فريدة، مكتوبة بخط قديم تصعب قراءته، بسبب عدم إعجام الكثير من الحروف ونقطها، مع ما أصابها من خرق ومحو بسبب عوادي الزمن، إلى أن شاء الله عز وجل، أن ينبري لهذا العمل الجليل، باحث من مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء، وهو الدكتور نورالدين شوبد، فنال بهذا التحقيق المتميز، شهادة الدكتوراه من جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، تحت إشراف أستاذه فضيلة الدكتور محمد بوطربوش، حيث بذل - حفظه الله - جهدا مُضنيا في دراسته والتعريف بمصنفه، وقراءة ما استغلق في نسخته الخطية، وترميم النقص الحاصل فيها بالرغوع إلى المصادر المتخصصة، مستفيدا من توجيهات السادة الأساتذة الذين تفضلوا بمناقشة الكتاب ومراجعته، وهم: فضيلة الدكتور عبد اللطيف الجيلاني، وفضيلة الدكتور محمد العلمي، وفضيلة الدكتور عبدالمغيث الجيلاني، وفضيلة الدكتور محمد بلحسن، وفضيلة الدكتور فريد أمعضشو، حفظهم الله جميعا وبارك فيهم.

والله المسؤول أن يتقبَّل هذا العمل المبارك، وأن ينفع به، وأن يثيب محققه، وجميع الأساتذة الذين شاركوا في تصحيحه ومراجعته، كما أسأله سبحانه أن يكتب أجره في سجلِّ حسنات راعي العلم والعلماء، مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده، وخلَّد بالأعمال الصالحة ذكره، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

أحمد عبادي

الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء